من الطول انخسف بدنه منع صرفه روي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما دعي
الله ان يملكهم اتي بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت
قالوا انى يكون له الملك علينا من اين يكون له ذلك ويستاهل ونحن احق
بالملك منه ولم يوت سعة من المال والحال انا احق بالملك منه وراثة
ومكنة وانه فقير لا مال له يعتضد به وانما قالوا ذلك لان طالوت كان
فقيرا راعيا او سقاء او دباغا من اولاد بنيامين ولم يكن فيهم النبوة وانما
كانت النبوة في اولاد لاوي والملك في اولاد يهودا وكان فيهم من السبطين
خلق قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله
يوتي ملكه من يشاء والله واسع عليم لما استبعدوا تملكه لفقره وسقوط
نسبه رد عليهم ذلك اولا بان العمدة فيه اصطفاء الله سبحانه وتعالى وقد
اختاره عليكم وهو اعلم بالمصالح منكم وثانيا بان الشرط فيه وفور العلم ليتمكن
به من معرفة الامور السياسية وجسامة البدن ليكون اعظم خطرا في
القلوب واقوى على مقاومة العدو ومكابدة الحروب لا ما ذكرتم وقد
زاده الله فيهما وكان الرجل القايم يمد يده فينال راسه وثالثا بان
الله تعالى مالك الملك على الاطلاق فله ان يوتيه من يشاء ورابعا انه
واسع الفضل يوسع على الفقير ويغنيه عليم بمن يليق بالملك من النسيب
وغيره وقال لهم نبيهم لما طلبوا منه حجة على انه سبحانه وتعالى اصطفى
طالوت وملكه عليهم ان اية ملكه ان ياتيكم التابوت الصندوق وهو
فعلوت من التوب فانه لا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وليس بفاعول
لقلة نحو سلس وقلق ومن قراه بالهاء فلعله ابدله منه كما ابدل من تاء
التانيث لاشتراكهما في الهمس والزيادة وتريد به صندوق التوراة وكان
من خشب الشمشار مموها بالذهب نحوا من ثلاثة اذرع في ذراعين فيه
سكينة من ربكم الضمير للاتيان اي في اتيانه سكون لكم وطمانينة او
للتابوت اي مودع فيه ما تسكنون اليه وهو التوراة وكان موسى عليه
الصلاة والسلام اذا قاتل قدمه فتسكن نفوس بني اسرائيل ولا يفرون
وقيل صورة كانت فيه من زبرجد او ياقوت لها راس وذنب كراس
الهرة وذنبها وجناحان فتئن فيزف التابوت نحو العدو وهم يتبعونه فاذا
استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وقيل صور الانبياء عليهم الصلاة
والسلام من ادم الى محمد عليهم الصلاة والسلام وقيل التابوت هو

القلب

القلب والسكينة ما فيه من العلم والاخلاص واتيانه مصير قلبه مقرا
للعلم والوقار بعد ان لم يكن وبقية مما ترك ال موسى وال هارون
رضاض الالواح وعصا موسى وثيابه وعمامة هارون وآلهما ابناؤهما
او انفسهما والال مقحم لتفخيم شانهما او انبياء بني اسرائيل لانهم ابناء عمهما
تحمله الملائكة قيل رفعه الله بعد موسى فنزلت به الملائكة وهم ينظرون
اليه وقيل كان بعده مع انبيائهم يستفتحون به حتى افسدوا فغلبهم
الكفار عليه وكان في ارض جالوت الى ان ملك طالوت فاصابهم ببلاء حتى
هلكت خمس مداين فتشاءموا بالتابوت فوضعوه على ثورين فساقتهما الملائكة
الى طالوت ان في ذلك لاية لكم ان كنتم مومنين يحتمل ان يكون من تمام كلام النبي
صلى الله عليه وسلم وان يكون ابتداء خطاب من الله سبحانه وتعالى فلما فصل
طالوت بالجنود انفصل بهم عن بلده لقتال العمالقة واصله فصل
نفسه عنه ولكن لما كثر حذف مفعوله صار كاللازم روي انه قال لهم
لا يخرج معي الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه ممن اختاره ثمانون
الفا وكان الوقت قيظا فسلكوا مفازة وسالوا ان يجري الله لهم نهرا قال
ان الله مبتليكم بنهر معاملكم معاملة المختبر بما اقترحتموه فمن شرب
منه فليس مني فليس من اشياعي او ليس بمتحد معي ومن لم يطعمه فانه
مني اي من لم يذقه من طعم الشيء اذا ذاقه ماكولا او مشروبا قال وان
شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا وانما علم ذلك بالوحي ان كان نبيا كما
قيل او باخبار النبي الا من اغترف غرفة بيده استثناء من قوله فمن شرب
منه وانما قدمت عليه الجملة الثانية للعناية بها كما قدم الصابئون على الخبر
في قوله ان الذين امنوا والذين هادوا والمعنى الرخصة في القليل دون الكثير
فشربوا منه الا قليلا منهم اي فكرعوا فيه اذ الاصل في الشرب منه ان

ان لا يكون بوسط وتعميم الاول ليتصل الاستثناء او افرطوا في الشرب الا قليلا منهم وقرئ بالرفع حملا على المعنى فان قوله فشربوا منه في معنى فلم

يعني فلم يطيعوه والقليل كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا وقيل
ثلاثة الاف وقيل الفا وروي ان من اقتصر على الغرفة كفته لشربه واداوته
ومن لم يقتصر غلب عليه عطشه واسودت شفته ولم يقدر ان يمضي وهكذا
الدنيا لقاصد الاخرة فلما جاوزه هو والذين امنوا معه اي القليل الذين
لم يخالفوه قالوا اي بعضهم لبعض لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده
لكثرتهم وقوتهم قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله اي قال الخلص
منهم الذين تيقنوا لقاء الله وتوقعوا ثوابه او علموا انهم يستشهدون عما قريب